Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لم يَضرْها والحمد لله شيء وانثنت نحو عزف نفس ذَهول(١١٩)

فالشطر الأخير من هذا البيت تتبرأ بعض ألفاظه من بعض كما يقول الجاحظ . وهو يؤكد رأيه فى ذلك بما روى عن بعض الرواة الحاذقين ذوى البصر بالشعر من نفورهم من مثل هذه الأشعار ، كما جاء عن خلف الأحمر إذ روى عنه :

وبعض قريض القوم أولاد عَلّةٍ يكُدُّ لسانَ الناطق المتحفظ

كما روى عن أبى البيداء الرياحى :

وشِعْرٍ كبَعْر الكبش فرَّق بينه لسانُ دَعِيٍّ فى القريض دخيل

فقول خلف يعنى أنه « إذا كان الشعر مستكرها ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلا لبعض ، كان بينها من التنافر ما بين أولاد العَلّات . وإذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أختها مُرْضيا موافقا ، كان على اللسان عند إنشاد ذلك مؤونة »(١٢٠) كذلك فإن « بعر الكبش يقع متفرقا غير مؤتلف ولا متجاور . وكذلك حروف الكلام وأجزاء البيت من الشعر ، تراها متفقة مُلْساً ، ولِيّنة المعاطف سهلة ؛ وتراها مختلفة متباينة ، ومتنافرة مستكرهة ، تشق على اللسان وتكدُّه . والأخرى تراها سهلة لِيّنة ، ورطبة مُتَواتية ، سَلِسَة النظام ، خفيفة على اللسان ، حتى كأن البيت بأسره كلمة واحدة ، وحتى كأن الكلمة بأسرها حرف واحد »(١٢١) . وإذا كانت الأشياء تتميز بضدها فإن الجاحظ ساق عددا من النماذج الشعرية ، برئت من هذا العيب ، فتجلت سلاستها وانسيابها فى النطق ، منها قول أبى حيَّة النُّميرى :

رمتنى وسِتْر الله بينى وبينها عشية آرام الكناس رميم
رميمُ التى قالت لجارات بيتها ضمنتُ لكم ألا يزالُ يهيمُ
ألا رب يوم لو رمتنى رميتها ولكن عهدى بالنضال قديم(١٢٢)

---

(١١٩) لا أذيل الآمال : لا أهينها ، التعطيل : الإهدار والإبطال ، عزف : مصدر « عزفت نفسه عن الشيء عزفا وعزوفا زهدت فيه وانصرفت عنه ، الذهول : من الذهل بالفتح ، وهو تركك الشيء تناساه على عمد ، أو يشغلك عنه شغل .

(١٢٠) البيان والتبيين ص ٦٦ — ٦٧ .

(١٢١) السابق ص ٦٧ .

(١٢٢) رمتنى : أى بطرفها ، ستر الله : الإسلام أو الشيب ، آرام الكناس روى فيها بأحجار الكناس وهو اسم موضع . رميم : اسم خليلته .